

الطحاية



عثمان بن عفان  
ذو النورين

رسوم داخلية: مي نوار

بقلم: درويش الزفتاوى



دارالمعارف

تصميم الغلاف  
شريفة أبو سيف

تنفيذ المتن والغلاف  
بالمركز الالكترونى  
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م . ع .

هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

اجتمعَ شَمْلُ العائِلةِ كما هى عَادتِنَا كُلَّ يَومِ جُمُعَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ، فَقد كَانَتِ عَادَتِنَا مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ أَنْ نَلْتَقِيَ فِي هَذَا المَوعِدِ أَنَا وَابْنِي أَحْمَدَ وَأَخْتَهُ نَاهِدَ؛ لِأَقْصَى عَلَيهِمَا قِصَّةَ أَحَدِ رِجَالِ الإِسْلَامِ؛ لِأَبْتِّ فِيهِمَا رُوحَ الإِسْلَامِ، وَمَا امْتَازَ بِهِ رِجَالُهُ مِنْ خُلُقِ كَرِيمٍ، وَصِفَاتٍ طَيِّبَةٍ وَسِمَاتٍ نَبِيلَةٍ وَشِجَاعَةٍ فَائِقَةٍ وَإِيمَانٍ عَمِيقٍ. وَكَانَ هَدَفِي مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ نَشْأَتُهُمَا نَشْأَةً إِسْلَامِيَّةً، وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُمَا فِي حُدُودِ مَا يَأْمُرُ بِهِ الإِسْلَامُ. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مُبَيَّسَرًا إِلَّا إِذَا عَرَفَا الكَثِيرَ مِنْ قِصَصِ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ، فَتَكُونَ هَذِهِ القِصَصُ نُورًا يَهْدِيهِمَا سِوَاءَ السَّبِيلِ فَيَتَخَلَّقَا بِخُلُقِ الإِسْلَامِ وَيُنْهَجَا نَهْجَ المُسْلِمِ الحَقِّ.

جَلَسْتُ فِي حِجْرَةِ الصَّالُونَ وَعَلَى يَسَارِي ابْنِي أَحْمَدَ، وَعَلَى يَمِينِي أَخْتَهُ نَاهِدَ، أَمَا أَمَهُمَا فَقد انصَرَفَتْ لِتُؤَدِيَ بَعْضَ أَعْمَالِ البَيْتِ.

وَبَدَأَ أَحْمَدُ الحَدِيثَ فَقَالَ:

— يَا أَبَتِ كُنْتُ أُؤَدِي اليَومِ صَلَاةَ الجُمُعَةِ فِي المَسْجِدِ القَرِيبِ مِنْ بَيْتِنَا، وَسَمِعْتُ خَطِيبَ المَسْجِدِ يَصِفُ سَيِّدَنَا عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ثَالِثَ الخُلَفَاءِ الرَاشِدِينَ بِذِي النُّورَيْنِ، فَأَرْجُو أَنْ تَوضِحَ لِي لِمَاذَا وَصَفَهُ بِهَذَا الوَصفِ؟

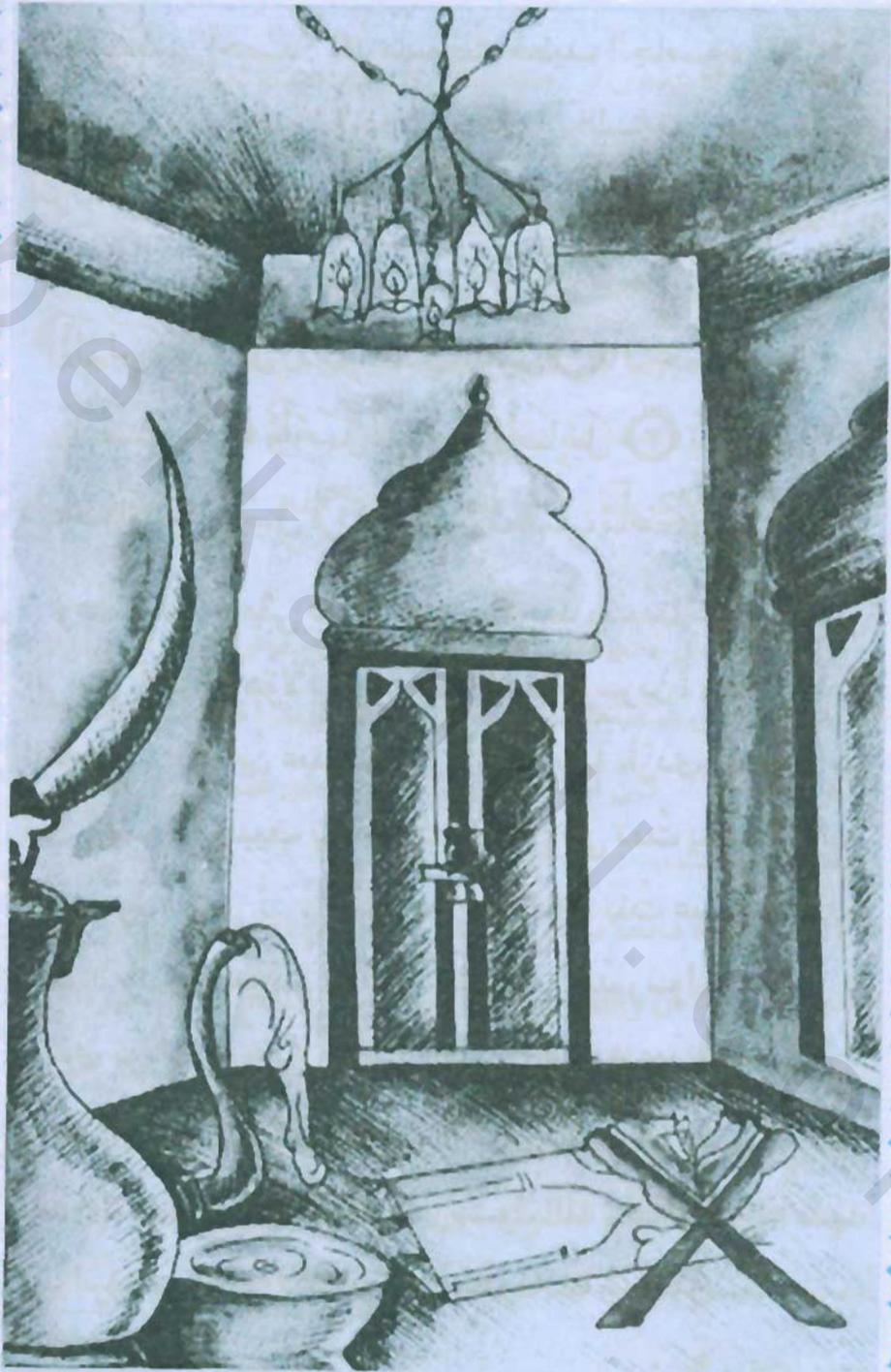
فقلتُ له: هل تدري يا أحمدُ أننى كنتُ قد قررتُ أن يكونَ حديثُ الليلةِ عنَ عثمانَ بنَ عفَّانَ، ومنَ الصدفِ الطيبةِ أنَ خطيبَ المسجدِ قد تناوله اليومَ فى خطبته بالحديثِ، وهذا اتفاقٌ فى الفكرِ جميلٌ. بلا شكَّ، فسيدنا عثمانُ شخصيَّةٌ إسلاميةٌ لها قدرها ومكانتها، وتاريخها.

وهنا تدخلتُ أخته ناهد فى الحديثِ فقالت: مادامَ هذا هو شأنه يا أبى فإننى أرجو منك قبلَ الإجابةِ عنَ سؤالِ أخى أحمدَ أنَ تحدثنا عنَ سيدنا عثمانَ منذُ ولادته، ولا ريبَ أنكِ فى خلالِ حديثك ستوضحُ لأخى أحمدَ لماذا وصفه خطيبُ المسجدِ بذى النورينِ؟!

فقلتُ لأحمد: ما رأيك فيما عرضته أختك، وهل توافقُ على رأيها؟

فأجابنى: نعم يا أبتِ، فأنا أوافقها تمامًا على رأيها. وبدأتُ حديثى إليهما:

— وُلِدَ سَيِّدُنَا عَثْمَانُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِعَامِ الْفِيلِ، وَهُوَ الْعَامُ الَّذِي جَاءَ فِيهِ أَبْرَهَةُ الْحَبَشِيِّ بِجَيْشٍ كَبِيرٍ وَمَعَهُ عَدَدٌ مِنَ الْفَيْلَةِ لَهْدَمِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَى جَيْشِهِ الطَّيْرَ الْأَبَابِيلَ وَرَدَّهُمُ اللَّهُ عَنِ الْبَيْتِ وَحَفِظَهُ. وَفِي هَذَا الْعَامِ، وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.



فقاطعتني أحمد: لقد سمعت خطيب الجامع، يذكر في حديث سابق له هذا الحدث، وقال إن الله تبارك وتعالى، أنزل فيه سورة الفيل التي جاء فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبِّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ (١)

وعدت إلى حديثي فقلت: فعلاً يا أحمد وسيدنا عثمان ينتمي إلى بنى أمية، وهؤلاء كانوا قومًا أغنياء مؤسرين، وهو ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه اسمها «أردى» بنت كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهي تمت بصلة القرابة إلى رسول الله ﷺ، فأُمُّها هي «البيضاء» بنت عبد المطلب بن هاشم، وأنتما تعرفان أن عبد المطلب هو جد رسول الله ﷺ، والذي تولاه بالرعاية والعناية بعد وفاة أبيه عبد الله.

وكان الناس يُطلقون على عثمان قبل إسلامه أبا عمرو، ولكنه بعد إسلامه وزواجه من ابنة رسول الله رقية، كان له منها ولد اسمه عبد الله فكان الناس ينادونه أبا عبد الله.

(١) سورة الفيل الآيات ١ - ٥ .

عاش سيدنا عثمان في صباه وفي شبابه عيشة أمثاله المُوسرين الأغنياء، وكان يعمل بالتجارة، وكان أمينًا في تجارته، فراجت تجارته، وكثر ربحه وأصبح من أغنياء قومه.

فسألت ناهد: لعله كان مع هذا الغنى والثراء والوسامة رجلًا مغرورًا، كما كان شأن الكثيرين من قومه من بنى أمية. فقاطعتها: أبدًا يا ابنتي لقد كان رجلًا متواضعًا شديد الحياء، عطفًا كريمًا، قال عنه رسول الله ﷺ [أكثر أمتي حياءً عثمان].

وكان عثمان لحيائه يهاب الحديث، ويعاف الحوار وطول الجدل. وروى عنه أحد الرواة قال: «ما رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان أتم حديثًا ولا أحسن من عثمان إلا أنه كان يهاب الحديث».

وكان حياؤه مانعًا له في صباه وشبابه من الانزلاق في نزوات الشباب، بل كان رقيق القلب حلو المعشر، عطفًا لا يميل إلى العنف أو الأذى أو القسوة. ولكم أن تتخيلاً أن رجلاً غنيًا كان يتولّى وضوء نفسه في الليل فقال له أحد أصحابه «لو أمرت بعض الخدم فكفوك» أي أن يقوم أحد خدمه بخدمته أثناء الليل إلا أنه قال «لا» ورفض ذلك وقال: «الليل لهم يستريحون فيه».

دَخَلَتْ عَلَيْنَا أُمُّ أَحْمَدَ وَأَخَذَتْ مَكَانَهَا مَعَنَا فِي الْحَجْرَةِ  
لِتَسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِنَا عَنْ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَدَأَ أَحْمَدُ  
الْحَدِيثَ بِسُؤَالٍ:

- وَكَيْفَ أَسْلَمَ سَيِّدُنَا عَثْمَانُ وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ النَّاسِ قَرَبًا لِرَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ؟

- اِخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ فِي إِسْلَامِ سَيِّدِنَا عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ.

فَقَاطَعْتَنِي نَاهِدٌ: لَوْ تَكْرَمْتَ يَا أَبَتَ فَإِنَّنَا نَرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ  
بَعْضَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ عَلَى اِخْتِلَافِهَا. فَقُلْتُ: حَسَنًا يَا ابْنَتِي،  
فَقَدْ كُنْتُ عَازِمًا عَلَى رَوَايَتِهَا كُلِّهَا. وَتَدَخَّلَ أَحْمَدُ فِي الْحَدِيثِ  
فَقَالَ:

وَلَكِنَّ شَيْخَ الْجَامِعِ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ أَنَّهُ أَسْلَمَ عَنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ  
الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقُلْتُ: نَعَمْ فَهَذِهِ هِيَ إِحْدَى الرِّوَايَاتِ، وَقَدْ أَجْمَعَ عَلَى  
صِحَّتِهَا الْكَثِيرُونَ. فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى صَلَةٍ وَثِيْقَةٍ وَمُوَدَّةٍ  
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَعْثَتِهِ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَآخْتَارَهُ  
لِرِسَالَتِهِ، تَحَدَّثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَدَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِالَّذِينَ الْجَدِيدِ،  
فَأَجَابَ أَبُو بَكْرٍ دَاعِيَ اللَّهِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَشَارَكَ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ لِلَّذِينَ الْجَدِيدِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ

محبوبًا يحبّ الناسُ الجلوسَ إليه ، والاستماعَ لحديثه ، فأخذ يدعُو أصحابه ومن وثقَ به من قومه إلى الدينِ الجديد فتابعه كثيرونَ كانَ عثمانُ أحدَهم .

فسألني أحمد : مَنْ يا أباي من المسلمين الأوائِل الذين استجابوا لأبي بكرٍ ودعوته خِلافَ سيدنا عثمان؟

فأجبتُه : منهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوف ، وطلحةُ بنُ عبيد الله ، وسعدُ بنُ أبي وقاص ، والزبيرُ بنُ العوام ، وأبو عبيدةُ بنُ الجراح وكثيرونَ من أهلِ مكَّة المكرمة . فالفضلُ يرجعُ لأبي بكرٍ لأنه أقنعَ هؤلاء بالدعوة الجديدة وبالدينِ الجديد ، فاستجابوا له ، وصحبهم إلى رسولِ الله ﷺ ، فأسلموا ودخلوا في الدينِ الجديد .»

أما الروايةُ الثانيةُ فنقولُ كما حدّث الرواةُ أنّ سيدنا عثمان كان في تجارةٍ إلى الشّام ، وعندَ عودته استراحَ في موقعٍ على طريقِ العودة ، ونامَ فسمعَ هو وأصحابه ورفاقه كأنّ مناديًا يُناديهم «أيها النيامُ هبوا ، فإنّ أحمدَ قد خرجَ بمكَّة المكرمة .» فلما قدّم عثمانُ إلى مكَّة المكرمة وسمعَ برسولِ الله ﷺ اتجهَ إليه واستمعَ منه ثمّ أسلم . وإنّني أرى أنه لا خِلافَ بينَ هذه الروايةِ والروايةِ السابقة ، فلعلّه حينَ وصلَ إلى مكَّة المكرمة

سمع بأمر الرسول الكريم من أبي بكر الصديق فذهب إلى رسول الله ﷺ وأسلم.

فقال أحمد: إنني أرى يا أبت أن هذه الروايات مع اختلافها تشترك في أمر واحد: هو أن أبا بكر كان العامل الأساسي في إسلام عثمان رضي الله عنهما.

فقلت له: فعلاً، رأيك هذا رأي سليم ومنطقي، وأنا أتفق معك فيه، وما رأيك أنت يا ناهد فيما قاله أخوك أحمد؟

فقالت: إنني أتفق معه تماماً يا أبا، ولكنني وقد جاء ذكر السيدة رقية ابنة رسول الله ﷺ ورغبته في الزواج منها، أود أن تتفضل فتحكي لنا قصة زواجه منها رغم أنها كانت حينئذ تمناها زوجة لعنتبة ابن عم رسول الله ﷺ واستمعت إليها جيداً، ثم بدأت أروى لها قصة زواج عثمان، ولماذا سمي بذي النورين؟!

هذا هو السؤال الذي بدأ به أحمد حديث الليلة.

قلت لهم، وقد لاحظت أن أمهما قد أنصتت إلينا جيداً ونحن نروي قصة هذا الزواج، قلت: عندما دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الدين الجديد، عارضه عمه أبو لهب بشدة، ووقف في وجه دعوته، وكان عنيفاً في معارضته لابن أخيه، فأمر ابنه عتبة بتطبيق زوجته رقية ابنة رسول الله ﷺ. فوجد

عثمان أن الفرصة واتته ليتزوج من رقية ويحقق بذلك أملاً  
كان يرجوه فطلبها من رسول الله ﷺ ، فوافق وزوجة إياها.  
فعاشرت معه سعيدة هانئة .

ولقد أنجب هذا الزواج غلاماً هو عبد الله ، ولكنه مات وهو  
في السادسة من عمره.

عاش عثمان مع زوجته رقية في مكة المكرمة يزاوئ  
تجارته. ثم انقلب أهل مكة على المسلمين فأذوهم وعذبوهم ،  
واشتد الأذى عليهم فأشار عليهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى  
بلاد الحبشة ، حيث إن ملكها عادل لا يظلم عنده أحد. فرأى  
عثمان أن يهاجر بزوجته ، وكان أسبق المهاجرين. وقال عنهما  
رسول الله ﷺ «إنهما أول من هاجر إلى الله بعد نبي الله  
لوط عليه السلام».

وبقى عثمان مع زوجته في الحبشة ، ثم عاد بها إلى مكة  
المكرمة ، ولم يطل مقامهما بها ، فقد هاجر عثمان وزوجته مع  
المسلمين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وأقاما هناك في دار  
تقع في مواجهة دار رسول الله ﷺ ، وكان باب عثمان في  
مواجهة باب ﷺ ، واتخذ رسول الله ﷺ أميناً على أسراره.

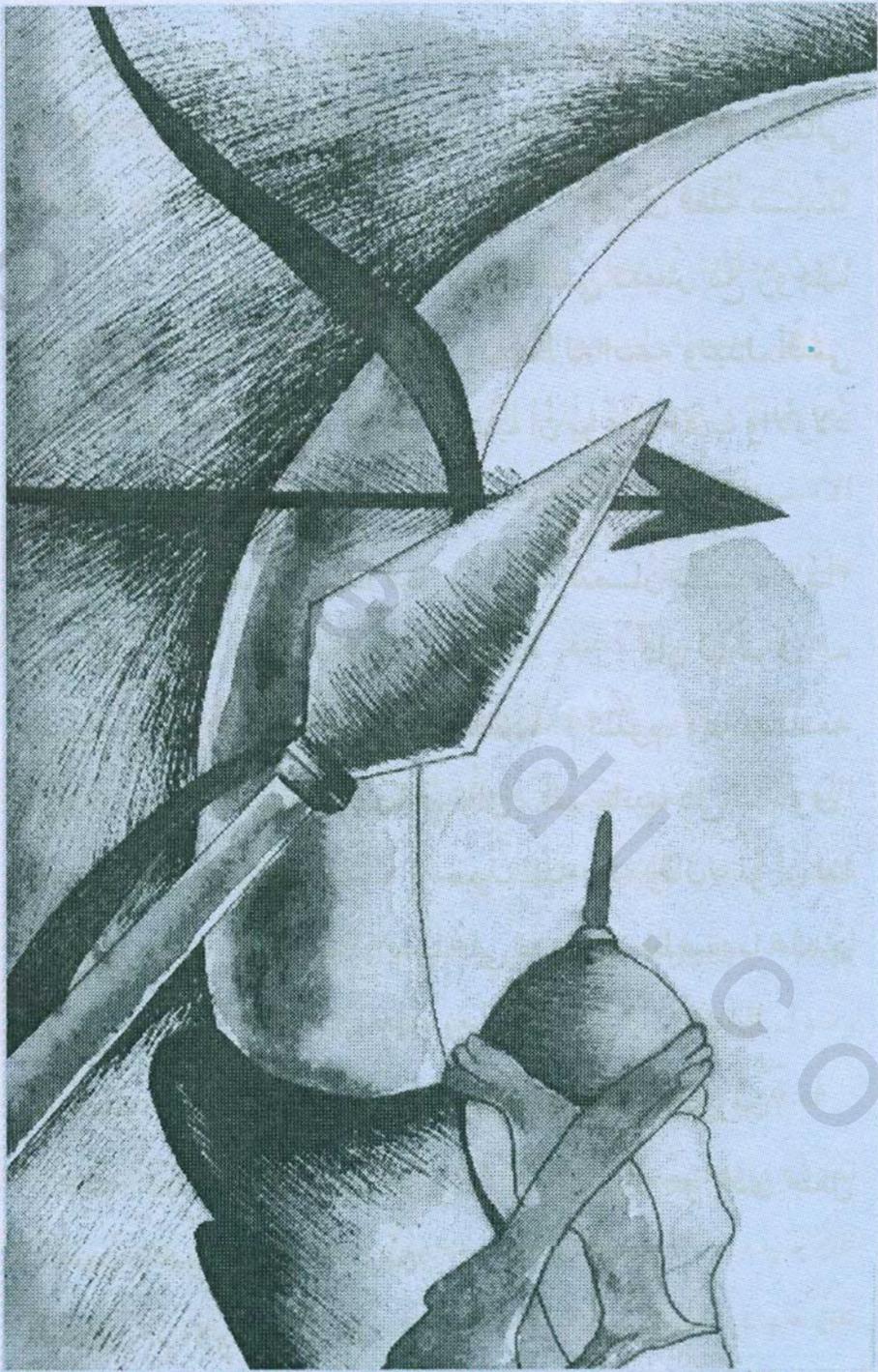
فلما وقعت غزوة بدر الكبرى كانت رقية مريضة وقد اشتدَّ عليها المرضُ، فأذن رسول الله ﷺ لعثمان في التخلف وعدم الخروج مع الخارجين، وأبقاه بجانبها يمرضها ويخفف عنها آلام المرض. وفي اللحظة التي وصل فيها البشير إلى المدينة المنورة يحمل بُشرى انتصار رسول الله ﷺ على أعدائه كان مرضُ رقية قد بلغ أقصى مراحلهِ، ولم تستطع أن تحتل شدة، فماتت وأسلمت الروحَ فحزنَ عثمانُ عليها أشدَّ الحزن.

وتدخلَ أحمد وقطعَ الحديثَ وقال:

- ولكنني يا أباي سمعتُ خطيبَ الجامع يقول إن سيدنا عثمان كان من أهل بدر، فكيف كان من أهلها وهو لم يشترك في هذه الغزوة كما جاء في حديثك؟

فقلتُ له: سؤالك وجيه يا أحمد، وأنا سعيدٌ بحسن إنصاتك وتتبعك، فسيدنا عثمان لم يشترك فعلاً في القتال في بدر، إلا أن رسول الله ﷺ قد جعل من رعايته لزوجته في مرضها واجباً لا يقل عن واجب الجهاد، ولهذا جعل له نصيباً من الغنائم التي كانت للمسلمين في بدر، ولهذا اعتبر من أهل بدر.

وتدخلت أم الأولاد في الحديث لأول مرة، فقالت:



- نَعَم إِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَرعى زَوْجَتَهُ فِي مَرَضِهَا ،  
وَأَنْ قِيَامَهُ بِهَذَا الْوَاجِبِ أَمْرٌ يَرْضَى عَنْهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
وَيَقْبَلُهُ ، وَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي فَعَلَهُ سَيِّدُنَا  
عَثْمَانُ دَرَسًا لِكُلِّ الْأَزْوَاجِ . فَالزَّوْجَةُ النَّسِي تَعِيشُ مَعَ زَوْجِهَا  
وَتَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ وَرِعَايَةِ أَوْلَادِهِ وَتَحْفَظُ لَهُ اسْمَهُ وَتَبْذُلُ أَقْصَى  
جَهْدِهَا لِرَاحَةِ الْجَمِيعِ ، مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يِرْعَاهَا الْأَبُ وَالْأَوْلَادُ  
إِذَا أَلَمَ بِهَا مَرَضٌ .

وَسَأَلْتُ نَاهِدَ : وَمَاذَا فَعَلَ سَيِّدُنَا عَثْمَانُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟  
فَأَجَبْتَهَا : حَزَنَ عَلَيْهَا وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، كَانَ قَدْ عَرَفَ لَهُ  
حَسَنَ عَشْرَتِهِ لِأَهْلِهِ ، فَزَوْجَهُ مِنْ أُخْتِهَا أُمَّ كَلْثُومٍ . وَعَاشَتْ مَعَهُ  
فِتْرَةً مِنْ حَيَاتِهِ إِلَّا أَنَّ حَيَاتِهَا لَمْ تَطُلْ ، فَقَدْ مَاتَتْ هِيَ الْأُخْرَى .  
وَحَزَنَ عَثْمَانُ لِمَوْتِهَا وَوَأَسَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : لَوْ أَنَّ لَنَا  
ثَالِثَةً لَزَوْجِنَاكِ إِيَّاهَا . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَى ارْتِبَاطِ سَيِّدِنَا عَثْمَانَ  
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَدَى حُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَثْمَانَ .

وَعَادَتِ نَاهِدٌ تَسْأَلُ : وَمَنْ أَجَلِ هَذَا سَمِيَّ بِنِي النُّورَيْنِ ؟  
فَقُلْتُ : نَعَمْ فَزَوْجُ عَثْمَانَ مِنْ رَقِيَّةَ وَأُمَّ كَلْثُومٍ ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
الْمُسْلِمِينَ يَلْقَبُونَهُ بِبَنِي النُّورَيْنِ .

وَعَادَتِ أُمَّ الْأَوْلَادِ لِتَسْأَلُ :

- وهل تزوج سيدنا عثمان غيرهما؟

فأجبتها: نعم تزوج من نساء أخريات، كانت آخرهن «نائلة» التي عاشت معه وشهدت مقتله وكان له من زوجاته بنون وبنات يزيدون على خمسة عشرة.

وفي مساء اليوم التالي، وبعد أن انتهى أحمد وناهد من مراجعة دروسهما وأداء الواجبات المقررة عليهما اجتمع شمل الأسرة في حجرة الجلوس، لنستكمل الحديث عن سيدنا عثمان بن عفان.

وكما هي عادة أحمد فقد بدأ الجلسة بسؤال قال:

- نريد يا أبي أن تحدثنا عن حياة سيدنا عثمان مع رسول الله ﷺ، فإنني أذكر أن خطيب الجمعة قال من بين ما قاله أن سيدنا عثمان كانت له أياد بيضاء على الإسلام والمسلمين، وأنه لم يبخل بثروته عليهم بل جعلها في خدمتهم جميعاً حتى أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم ارض عن عثمان فأنا عنه راض».

فقلت: إنك يا أحمد فتى تجيد الحديث، وتعرف كيف تبدو وأنا سعيد لأنك ما زلت تذكر ما جاء في خطبة الجمعة عن سيدنا عثمان، وهأنذا أستجيب لك، وسيكون حديثي الآن عن حياة عثمان مع رسول الله ﷺ.

وبدأتُ حَدِيثِي : قلتُ لكَمَا بِالْأَمْسِ إِنَّ سَيِّدَنَا عَثْمَانَ لَمْ يَشْهَدْ  
غَزْوَةَ بَدْرٍ بِسَبَبِ مَرَضِ زَوْجَتِهِ رَقِيَّةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،  
ولكنَّهُ شَهِدَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّ غَزَاةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَدْ خَرَجَ  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَحَدٍ وَشَهِدَ الْخَنْدَقَ وَخَيْبَرَ ، وَفَتَحَ مَكَّةَ  
الْمَكْرَمَةَ وَحُنَيْنَ وَتَبُوكَ .

فَقَاطَعَنِي أَحْمَدُ : مَعْدِرَةٌ أَبْتَاهُ هَلْ كَانَ سَيِّدَنَا عَثْمَانُ مِنْ أَبْطَالِ  
حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ كَسَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَسَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَخَالِدَ وَعُمْرُو  
وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، إِنَّنَا فِي دِرَاسَتِنَا لِلتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ  
فِي الْمَدْرَسَةِ ، لَاحِظْنَا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ اسْمُهُ فِي الْمَعَارِكِ كَمَا وَرَدَ  
اسْمُ هَؤُلَاءِ !؟

فَقُلْتُ : نَعَمْ هُوَ لَمْ يَكُنْ مِنْ رِجَالِ الْحَرْبِ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ  
كَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَعِنْدَمَا خَرَجَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ قَاصِدِينَ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ لِأَدَاءِ  
الْعُمْرَةِ آمَنِينَ غَيْرِ مَقَاتِلِينَ وَعَلِمْتُ قَرِيشٌ بِمَسِيرِهِمْ أَقْسَمَتْ  
أَلَّا يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ عَنُوءً ،  
وَأَخْرَجَتْ فَرَسَانَهَا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِمَقَاتَلَتِهِمْ ، وَنَزَلَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ فِي مَوْقِعٍ يُسَمَّى الْحَدَيْبِيَّةَ . وَأَرَادَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ سَفِيرًا فَاخْتَارَ عُمَرَ ، لَكِنَّ  
عُمَرَ اعْتَذَرَ بِمَا تَعَرَّفَهُ قَرِيشٌ مِنْ عَدَاوَتِهِ لَهَا ، وَشَدَّتْهُ

عليها ثم اختار رسول الله ﷺ عثمان، وحاوَل عثمان أن يقنع قريشًا لتُخلى بين المسلمين والبيت الحرام، ولتسمح لهم بأداء الزيارة، ولكن رجالها رفضوا ذلك وطال بقاء عثمان بمكة المكرمة حتى أشاعت قريش أن عثمان قد قُتل، ذلك لمكر منها، ولحاجة تريدها، فغضب رسول الله ﷺ وقرر أن يقاتلهم ودعا أصحابه لبيعة الرضوان وتعهّدوا في هذه البيعة أن يقاتلوا قريشًا، وضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه على الأخرى بيعة لعثمان كأنه حاضر معهم . وبينما يستعد المسلمون للقتال بلغهم أن عثمان لم يُقتل ، وأقبل عليهم عثمان وأبلغ رسول الله ﷺ ما دار بينه وبين قريش، وبناءً على ما سمعه رسول الله ﷺ من عثمان، دارت المفاوضات بينه وبين قريش وانتهت إلى عقد صلح الحديبية، ورجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة على أن يعود إلى مكة المكرمة في العام التالي فيقيموا بها ثلاثة أيام لزيارة البيت الحرام.

وهنا سأل أحمد: ولكن رغم موقف عثمان فإن خطيب المسجد ذكر خلال حديثه عنه، أنه قدّم ثروته وماله للمسلمين وأنه جعله في خدمتهم، فقد كان سخياً بماله فيما يصلح المسلمين فكيف كان ذلك؟

فأجبتُه: نَعَمْ كانَ عِثْمَانُ سَخِيًّا بِمَالِهِ، لَمْ يَحْجِزْهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ أَبَدًا، بَلْ جَعَلَهُ طَوْعَ أَمْرِهِمْ وَفِي خِدْمَتِهِمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

فَسَأَلْتُ نَاهِدًا: وَمَاذَا فَعَلَ بِمَالِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَضَدَ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ وَمَا سَبَبُهَا؟

فَقُلْتُ:

- غَزْوَةُ تَبُوكَ هَذِهِ كَانَتْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَتْ ضِدَّ الرُّومِ فَقَدْ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشَّامِ تَهْدُدُ شِمَالَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَدَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْخُرُوجِ وَبَعَثَ إِلَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَشَارَكَةِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ دَعَا إِلَى التَّجْهِيزِ وَالْإِعْدَادِ، فَتَبَرَّعَ عِثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَضَعَهَا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى تَجْهِيزِ الْجَيْشِ، وَقَدَّمَ ثَلَاثِمِائَةَ بَعِيرٍ كَامِلَةَ الْعِدَّةِ لِيَحْمَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ. وَكَانَ عِثْمَانُ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَرَّعًا حَتَّى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا ضَرَّ عِثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» وَكَرَّرَهَا مَرَّتَيْنِ.

فَقَالَتْ نَاهِدًا: لِلَّهِ دَرَّ عِثْمَانَ وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ غَيْرُهُ، تَبَرَّعَ بِثَرْوَتِهِ فِي أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ عُسْرًا، وَأَطْلَقَ عَلَى هَذِهِ الْغَزْوَةِ



جيش العُسرة، وقد قالت لنا مدرسة التاريخ بالمدرسة إن كثيراً من المسلمين أرادوا الخروج مع رسول الله ﷺ، ولكنهم لم يكونوا يملكون ما يحملهم فعادوا وهم يبكون.

فقلت لها: نعم يا ناهد، هذا الذي تقولينه حق.

وقاطعني أحمد: إن فعثمان رغم أنه لم تكن له في ساحات الحروب مواقف تذكرك، إلا أنه جاهد بماله في سبيل الله كما جاهد غيره بسلاحه في سبيل الله، وهو بذلك يقف على قدم المساواة مع أبطال الحروب في الجهاد الشريف.

ولكن هل اكتفى سيدنا عثمان ببذل ماله خلال الغزوات فقط؟

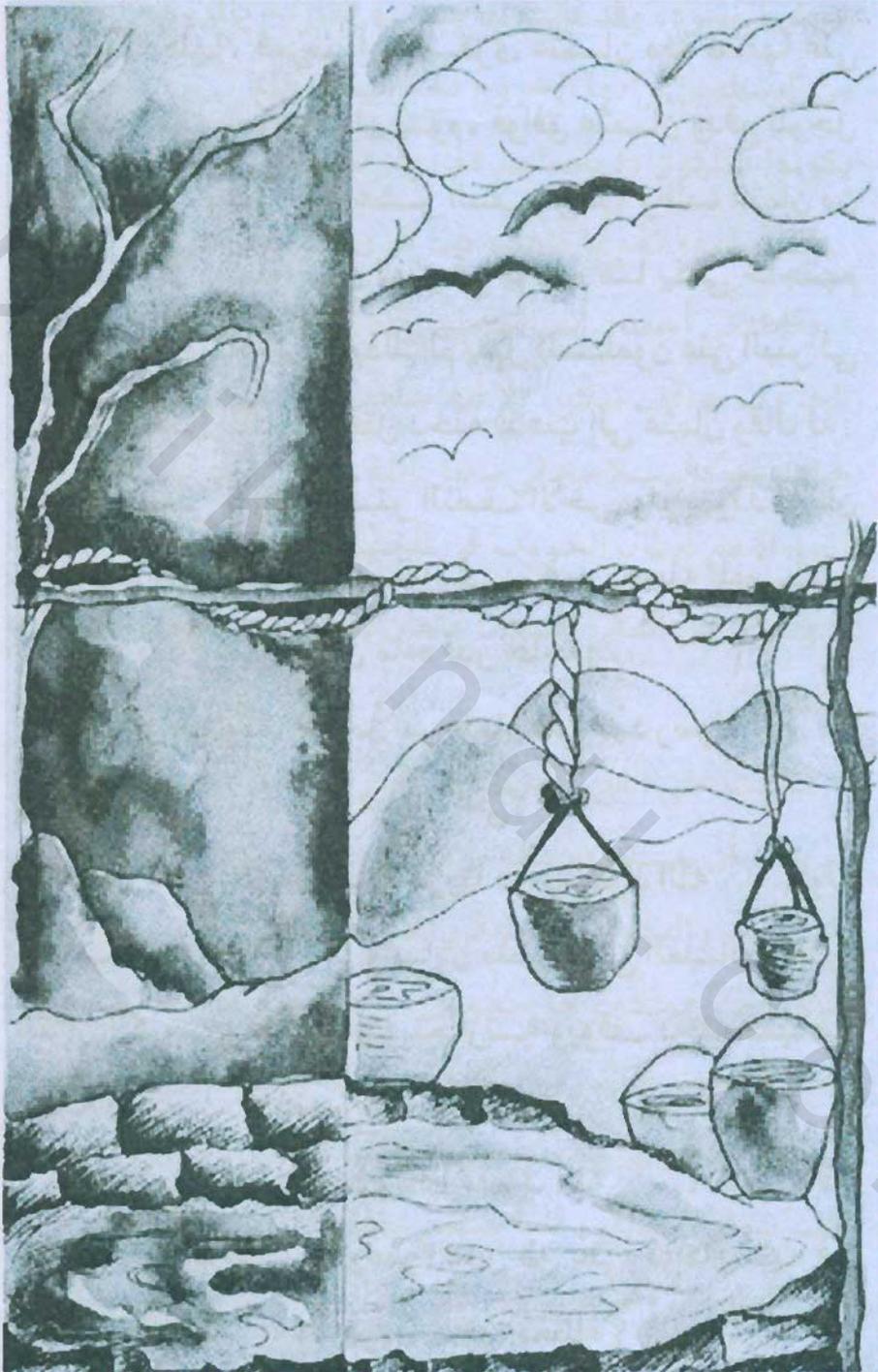
فقلت على الفور: سؤال وجيه يا أحمد إن سيدنا عثمان لم يمنع أن يستخدم ماله من أجل المسلمين في الغزوات وفي غيرها، وإليكم ما حدث في المدينة المنورة فقد كان بالمدينة المنورة بئر يملكه رجل يهودي، وكان يبيع ماءه للمسلمين، بثمن مرتفع، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «من يشتري بئر رومة» فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة»، فلما سمع عثمان قول رسول الله ﷺ، أتى اليهودي وعرض عليه شراء البئر، إلا أن اليهودي أبي

أَنْ يَبِيعَهَا كُلَّهَا، فَعَرَضَ أَنْ يَشْتَرِيَ عَثْمَانَ مِنْهُ نِصْفَهَا عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ يَوْمٌ وَلِعَثْمَانَ يَوْمٌ، فَوَافَقَ عَثْمَانُ وَدَفَعَ لِلرَّجُلِ نِصْفَ الثَّمَنِ، وَقَدَّرَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، وَطَلَبَ عَثْمَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْمِلُوا مِنَ الْبَيْتْرِ فِي يَوْمِهِمْ مَا يَكْفِي حَاجَتَهُمْ لِمُدَّةِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، وَبِذَلِكَ لَمْ يَقْبَلِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْبَيْتْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَخْصُصِ لِلْيَهُودِيِّ فَقَلَّ دَخْلُهُ فَذَهَبَ إِلَى عَثْمَانَ وَقَالَ لَهُ: «أَفْسَدَتِ عَلَى بَيْتْرِى فَاشْتَرِ النِّصْفَ الْآخَرَ. وَلَمْ يَتَرَدَّدْ عَثْمَانُ فَاشْتَرَاهُ مِنْ مَالِهِ بِثَمَانِيَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ، وَجَعَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ يَشْرِبُونَ مِنْهُ وَيَسْتَحْدِمُونَ مِائَةً قَدَرَ حَاجَتِهِمْ».

وسأل أحمد: وماذا كان من أمر عثمان على عهد رسول الله ﷺ وحتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى؟

فقلت: عاش عثمان حياته قريباً من رسول الله ﷺ، وله مكانته في قلبه ﷺ، وعاش منصرفاً إلى العبادة وتلاوة القرآن الكريم، وكان يباشر تجارته ويوقف دخله منها في خدمة المسلمين، فاشتهر بأنه كريم سخي.

وقاطعتني ناهد: وبعد وفاة رسول الله ﷺ، كيف عاش عثمان في عهد أبي بكر وعمر؟ وهل ظل على ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ، كريماً سخياً معطاءً؟



فأجبت: نَعَمْ ظَلَّ يَبَاشِرُ عِبَادَتَهُ وَيَبَاشِرُ أَيْضًا تِجَارَتَهُ، وَلَكِنَّهُ  
كَانَ يَدُلِّي بِرَأْيِهِ فِيمَا يُطَلَّبُ مِنْهُ وَكَانَ لَا يَبْخُلُ بِرَأْيِ يَرَى فِيهِ  
مُصْلَحَةَ الْمُسْلِمِينَ. وَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حِينَ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ  
الشَّامِ، دَعَا أَهْلَ الرَّأْيِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِيَشَاوِرَهُمْ فِي  
الْأَمْرِ، وَكَانَ عَثْمَانُ أَحَدَهُمْ، فَاسْتَمَعَ إِلَى رَأْيِ عُمَرَ، وَكَانَ  
يَشْجَعُ عَلَى الْغَزْوِ، وَإِلَى رَأْيِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ  
يَدْعُو إِلَى الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ. فَلَمَّا طَلَبَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّأْيَ قَالَ  
لَهُ: «أَرَى أَنَّكَ نَاصِرٌ أَهْلَ هَذَا الدِّينِ شَفِيقٌ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ رَأَيْتَ  
رَأْيًا لَهُمْ فِيهِ رِشْدٌ وَصَلَاحٌ وَخَيْرٌ، فَامْضِ فَإِنَّكَ غَيْرُ ضَئِينَ عَلَيْهِمْ  
بِالْخَيْرِ»، وَهَذَا رَأْيٌ فِيهِ تَعَقُّلٌ وَحِكْمَةٌ. فَإِنَّهُ قَدْ تَرَكَ الْأَمْرَ كُلَّهُ  
لِلْخَلِيفَةِ يَرَى فِيهِ رَأْيَهُ وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ خَيْرٌ الْمُسْلِمِينَ،  
وَخَيْرٌ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ أَعْجَبَ النَّاسُ بِرَأْيِهِ وَأَقْرَبُوهُ وَأَيَّدُوهُ.

وَكَانَ لِعَثْمَانَ رَأْيٌ آخَرٌ فِي مَوْقِفِ آخِرٍ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرَادَ أَنْ  
يُوصِيَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ  
حَتَّى يَجْمَعَ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ. وَبَدَأَ أَنْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا  
يُخْشَوْنَ شِدَّةَ عُمَرَ وَغِلْظَتَهُ. فَلَمَّا سَأَلَ أَبُو بَكْرٍ عَثْمَانَ قَالَ عَثْمَانُ:  
«اللَّهُمَّ عَلِّمِي بِهِ أَنَّ سَرِيرَتَهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَتِهِ وَأَنْ لَيْسَ  
فِيْنَا مِثْلُهُ».

وظلَّ عثمانُ في عهدِ عمرَ يباشِرُ تجارته ويشيرُ على عمرَ برأيه، حينَ يَطلبُ رأيه في أمرٍ منْ أمورِ المُسلمين، وكانَ رأيه يتفقُ معَ رأيِ عمرَ في أمورٍ كثيرة، ولو أنه عارضه في موقفٍ أو أكثر، وكانَ يبتغى في ذلكَ مصلحةَ الإسلامِ والمُسلمين، ويريدُ وجهَ الله سبحانه وتعالى ورضاه.

قال ابنى أحمد: تبينَ لى منْ حديثك الشيق الجميل عن سيدنا عثمان رضى الله عنه، أنه كان هادئ الطبع شديد الحياء من الله، مُقبلاً على شعائر الدين فى هدوءٍ يخشى الحديث يبدى رأيه فى أمورِ المُسلمين بما فيه مصلحة الإسلام والمُسلمين أجمعين.

وتولى أبو بكر شئون المُسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتصدى للمُسلمين الذين ارتدوا عن الإسلام وحاربهم، كما تصدى للمُسلمين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة وأرغمهم على دفعها.

وفى عهدِ عمرَ قامتِ الدولةُ الإسلاميةُ فى الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق، ووضعَ عمرُ القوانينَ والتشريعاتَ ونظمَ الحياةَ فى كافة أنحاء الدولة، كما أنه كانَ شديدًا فى موضعِ الشدةِ رحيماً بالمُسلمين حريصاً عليهم وعلى مصالحهم، فكيفَ وعثمانُ بهذه السّماتِ العمريةِ حينَ أصبحَ خليفةً للمُسلمين؟!!

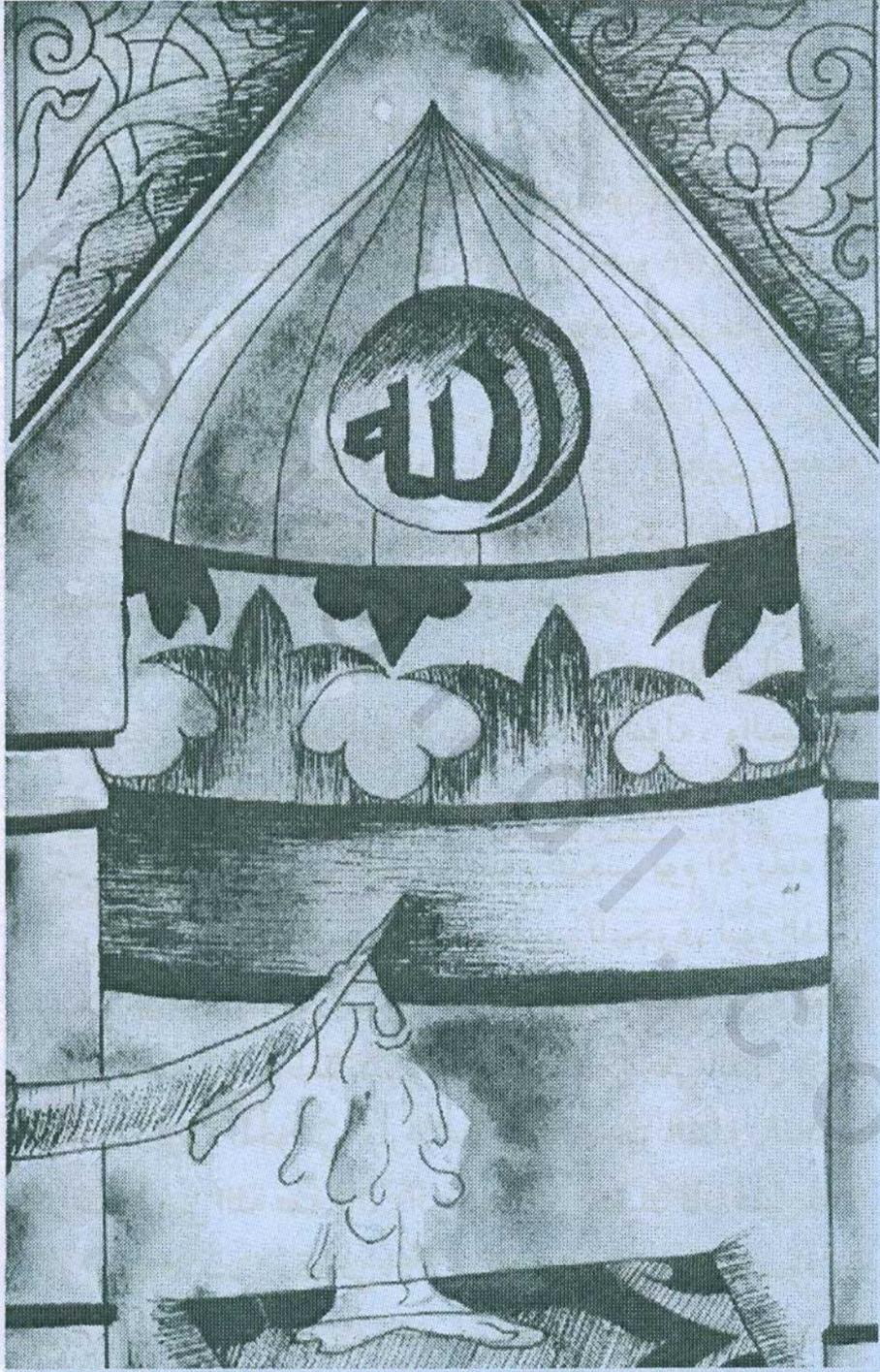
وأضافت أخته ناهد :

إننى أوافق أخى أحمد على رأيه فى كلِّ ما قاله، وأرجو أن  
توضح لنا يا أبى كيف تولّى سيدنا عثمان أمور المسلمين وكيف  
اتفقت كلمة المسلمين على اختياره ؟

وسعدتُ جداً بما قاله أحمد وناهد، وسردت عليهما الإجابة  
عن سؤالهما فقلتُ :

قضى سيدنا عمرُ عشرَ سنواتٍ فى الحكم، ونهضَ بالعبءِ  
العظيم الذى ألقاهُ القدرُ على عاتقه، فكان القائدُ الأعلى  
للجيش، والفقيرُ الأكبرُ فى شئون الدين، والقاضى النزيه  
الذى أخذ للضعيف حقه من القوى، والأب البار الرحيمُ  
بالمسلمين، والمؤمن الصادقُ الإيمان بالله ورسوله، والسياسى  
العبقرى والادارى الحكيم.

خرج سيدنا عمرُ من بيته قبل طلوع شمس يوم الأربعاء فى  
أواخر شهر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ليوم الناس  
لصلاة الفجر، ولما بدأ ينوى الصلاة، ظهر رجلٌ أمامه فجأةً  
وطعنه بخنجر عدة طعنات، وقبض المسلمون على القاتل وكان  
اسمه «أبا لؤلؤة المجرسى» وأراد عبد الله بن عمر الفتك بالقاتل،  
لكن عمر رضى الله عنه قال: اتركوه، فإن عشتُ فأنا كفيلاً به،  
وأبو لؤلؤة فارسى وقع فى الأسر فى موقعة «نهاوند»، وقاوم  
القاتل المسلمين، ولكنه طعن نفسه بخنجر فمات.



وشغل مستقبل المسلمين تفكيرهم، وأخذوا يتساءلون من  
يخلف الفاروق عمر؟ وهل سيختار عمر من يتولى أمرهم من  
بعده؟ كما فعل أبو بكر حين وافاه الأجل فاستخلف عليهم  
سيدنا عمر، أم أنه سيترك الأمر لهم كما حدث بعد وفاة  
رسول الله ﷺ. وسأل ابن عمر أباه أن يستخلف فقال له  
عمر: «إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أترك  
فقد ترك من هو خير مني»، وطلب سعيد بن زيد من الفاروق  
عمر وهو على فراش الموت متأثراً بجراحه أن يشير برجل من  
المسلمين فقال له:

«لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته وقلت لربي إن سألتني  
سمعت نبيك يقول أنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي  
حذيفة حياً لاستخلفته، وقلت لربي إن سألتني سمعت نبيك  
يقول: «إن سألت شديداً الحب لله تعالى».

وعرض أحد المسلمين عليه أن يختار ابنه عبد الله فرفض  
بشدة وأراد ابن عمر أن يستخلف عبد الرحمن بن عوف، ولكن  
الفاروق عمر رفض.

وسأل أحمد: وماذا فعل عمر يا أباي؟ وكيف انتهى إلى رأى  
في هذا الموقف العصيب؟

فأجبتة: انتهى عمر إلى أن يكون الأمر شورى بين المسلمين  
فاختار ستة منهم، وطلب أن يجتمعوا وأن يختاروا من بينهم

الخليفة الجديد، وحدد لهم مدة ثلاثة أيام ينتهون فيها من الاختيار وأوصى عمر من يقع عليه الاختيار بتقوى الله وبحفظ حق المهاجرين الأوائل وبالإحسان إلى الأنصار ومراعاة أهل الأمصار والأعراب، وطلب عمر أن تتم المشاورة والاختيار بعد وفاته مباشرة.

وقاطعتنى ناهد قائلة: ومن هم هؤلاء الستة ولماذا اختارهم عمر بالذات؟

لقد اختارهم الفاروق لسبقهم إلى الإسلام وصحبتهم رسول الله ﷺ، وهم: علي بن أبي طالب وهو ابن عم رسول الله ﷺ وأقربهم رحمًا به عليه الصلاة والسلام وأكثرهم به صلة، ثم الزبير بن العوام ابن صفية ابنة عبد المطالب عمه رسول الله ﷺ، وهو ابن أخ السيدة خديجة أم المؤمنين رضی الله تعالى عنها، وقد أسلم وهو في السادسة عشرة من عمره، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وشهد الغزوات مع رسول الله ﷺ وقال عنه رسول الله ﷺ «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير بن العوام ثم عثمان بن عفان» زوج ابنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم. وكان رسول الله ﷺ يحبه أعظم الحب لأنه كان من السابقين إلى الإسلام، وأثار إسلامه غضب قومه عليه، فأخذه عمه الحكم ابن أبي العاص فأوثقه وقال له «لتدع دين آبائك إلى دين أحدث والله لا أدعك أبدًا

حتى تدع ما أنت عليه» فرفض وبقي على دينه وقال لعمه  
والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه. فلما رأى عمه صلابته وتمسكه  
أرسله.

لقد عرفتُ ما من حديثنا موافقه الكثيرة بجانب المسلمين.  
أما الرابع فكان سعد بن أبي وقاص وهو خال رسول الله ﷺ ،  
أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة، وصحب رسول الله ﷺ ، وهو  
الذي قاد جيوش المسلمين في بلاد الفرس.

وكان الخامس عبد الرحمن بن عوف وهو ابن عم سعد بن أبي  
وقاص وصهر عثمان بن عفان، وقال عنه رسول الله ﷺ :

«أمين في الأرض أمين في السماء» أما السادس والأخير فكان  
طلحة بن عبيد الله، وهو أول من أسلم مع أبي بكر، ووقف في  
غزوة أحد يدافع عن رسول الله ﷺ حين أصيب ﷺ ، وكان  
طلحة متغيباً عن المدينة المنورة حين طعن عمر، فطلب عمر من  
جماعة الشورى أن ينتظروا طلحة ثلاثة أيام، فإذا لم يحضر  
خلالها اختاروا خليفة المسلمين.

وهنا سألت ناهد: وماذا فعلوا يا أبي بعد وفاة سيدنا عمر؟  
قلت: كان المرشحان الأساسيان على بن أبي طالب وعثمان  
ابن عفان، ورأى عبد الرحمن بن عوف أن يقف على رأي

الناس بصفة عامّة، فكان الرأى فى صالح سيدنا عثمان، واجتمع الناس بالمسجد فسأل عبد الرحمن سيدنا علياً: ابسط يدك نبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - من بعده؟ فأجابه أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى. ووجه عبد الرحمن بن عوف نفس السؤال إلى سيدنا عثمان فقال: «اللهم نعم» فرشح عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان خليفة للمسلمين وبايعه الناس.

وسأل أحمد: وماذا عن موقف طلحة هل حضر المشاورات؟ فأجبتّه: لا ولكنه قدم المدينة المنورة بعد مبايعة عثمان فبايعه وأصبح عثمان بذلك خليفة للمسلمين مسئولاً عن مستقبلهم وحياتهم ودولتهم.

سألنى أحمد: أرجو يا أبت أن تحدثنا عن عهد سيدنا عثمان وما هى أهم الإنجازات التى تمت فى عهده؟ فقلت: لقد تمت فى عهد سيدنا عثمان إنجازات كبيرة كان لها أثرها فى حياة المسلمين، لقد استفتح عثمان بأن زاد عطاء الناس عما كان عليه فى عهد عمر زيادة أرضت الناس جميعاً، وسمح لكبار المسلمين بالخروج من المدينة المنورة إلى حيث

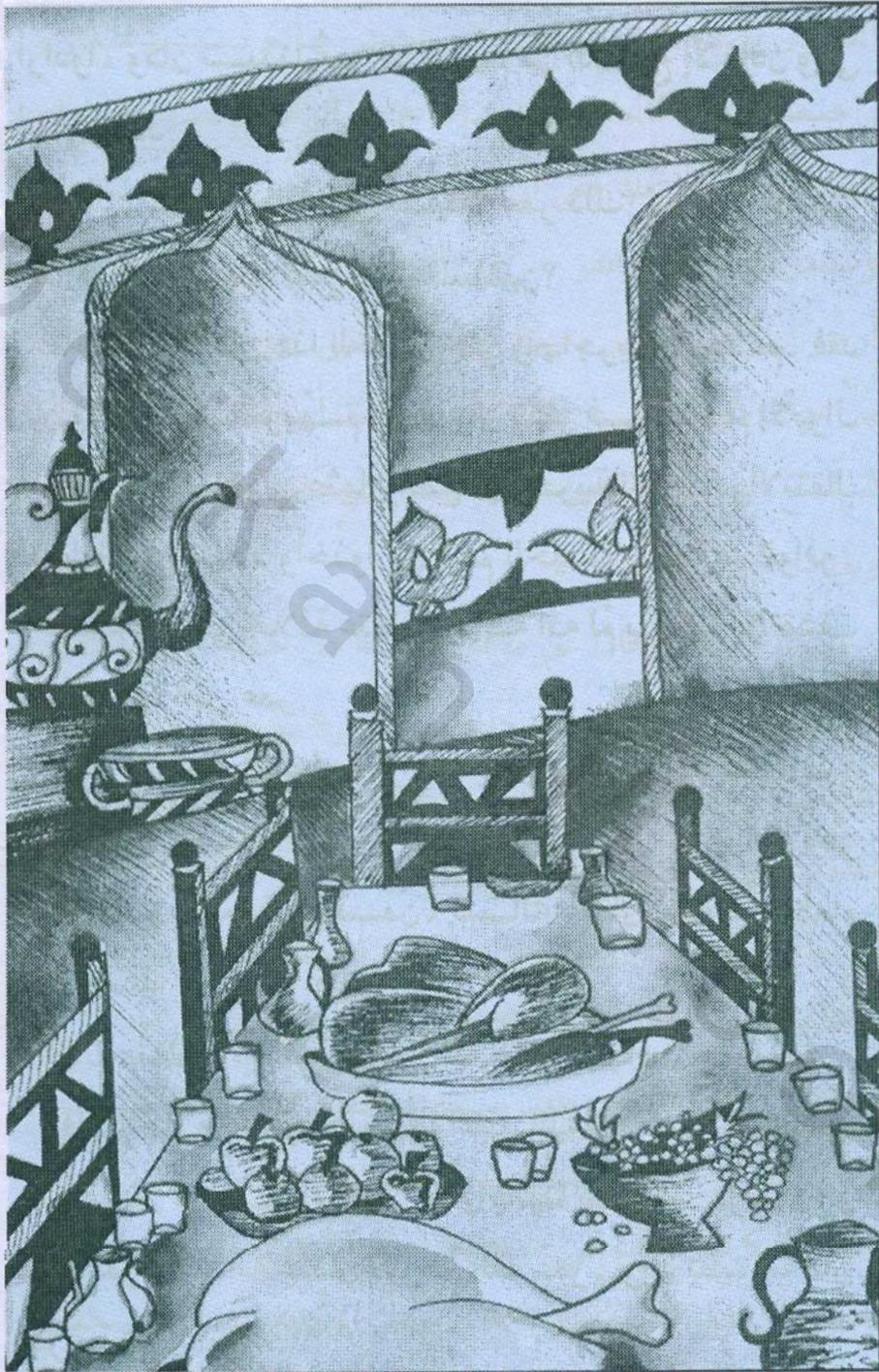
أرأبوا؁ وكان سيدنا عمر قد منعهم من الخروج إلا بإذن وإلى أجل محدد.

فسألت ناهد: ولماذا فعل سيدنا عمر ذلك؟ وما هي حكمته وقد عرفناه حريصاً على صالح المسلمين؟

فأجبتها: كان هذا الخطر على المهاجرين وحدثهم؁ فقد كان يخشى أن تغريهم الدنيا وأن تكثر في أيديهم الأموال فيتغيروا. فلما تولى عثمان أطلق لهم حرية الحركة والانتقال فتنقلوا في البلاد وأخذوا من أنعم الحياة بالنصيب الوافر؁ وحببهم ذلك في خلافة عثمان وخاصة أنه لم يلزمهم بالتقشف والزهد كما فعل عمر.

وقد روى أحد المسلمين واسمه عمر بن أمية أنه تناول مرة العشاء مع سيدنا عثمان؁ فأكل طبيخاً اسمه «خزيرة»؁ وهو طعام يطبخ بلحم ولبن وسمن؁ فسأله عثمان رأيه في الطعام فقال: «هذا أطيب ما أكلت».

فقال عثمان: «إن عمر رضي الله عنه أتعب من جاء بعده». وقال رجل من العرب أيضاً هو عبيد الله بن عامر «كنت أفرط مع عثمان في شهر رمضان فكان يأتينا بطعام؁ هو ألين من طعام عمر» فقال له عثمان «يرحم الله عمر؁ ومن يطيق ما كان عمر يطيق».



وقاطعني أحمد: وماذا أيضًا يا أبا؟

فقلت: لقد جدد عثمان مسجد رسول الله ﷺ بإعادة بنائه من جديد، فزاد في رقعته زيادة عظيمة، وأدخل في بنائه تطورًا كبيرًا، فبعد أن كان المسجد مبنياً باللبن، بناه عثمان بالحجارة المنقوشة وجعل له سقفًا وأعمدة من الحديد والرصاص، وكانت وجهة نظرة في ذلك أن المسجد هو مركز الحكم تصدر منه الأوامر إلى الولاة وفيه تقام الصلاة.

وهنا سألت ناهد: وهل فعل ذلك أيضًا بييت الله الحرام في مكة المكرمة؟

فقلت: إنه لم يفعل بموقع الكعبة الشريفة مثل ما فعله بمسجد رسول الله ﷺ، وقد اكتفى بشراء بعض الدور حول الكعبة الشريفة، وضمها إليها، ثم أحاطها بجدار قصير ولعل ذلك راجع إلى أنه كان يدرك أن الكعبة الشريفة هي مكان خالص للعبادة وللصلاة، أما مسجد الرسول بالمدينة المنورة فكان دارًا للحكم وللصلاة والعبادة.

وقاطعني أحمد: وماذا فعل سيدنا عثمان بالمصحف الشريف فقد سمعت خطيب الجامع يقول: إنه جمع المصاحف كلها في مصحف واحد ونشره في كافة البقاع والولايات الإسلامية؟

فأجبتُه: فعلاً وهذا من أعظم مآثر سيدنا عثمان، فقد كان شديد الإيمان. وجمع الناس على قراءة واحدة للقرآن الكريم، وأحرق كل المصاحف الأخرى ما عدا المصحف الذي أعده وسمّاه مصحف عثمان، فقد لاحظ بعض المسلمين أن الناس تختلف في قراءة القرآن الكريم وأنهم يقرءونه بقراءات مختلفة، وكل يقول لصاحبه إن قراءتي خير من قراءتك. واختلف المسلمون في القراءة، وبلغ الخلاف حداً كاد أن يكون فتنة، وأسرع أحد المسلمين وهو حذيفة إلى عثمان وقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك إنى أخشى أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى. فجمع عثمان الناس وشاورهم في الأمر، ورأى أن يجتمع المسلمون على قراءة واحدة، ثم بعث إلى السيدة حفصة وكانت تحتفظ لديها بمصحف أبي بكر، يسألها أن ترسل إليه المصحف لنسخه، وأنتما تعرفان أن أبا بكر أمر بعض القراء بجمع القرآن الكريم في عهده، واحتفظ به عنده في حياته، ثم احتفظ به عمر ثم وضع عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر، وأمر عثمان زيد بن ثابت، أن يكتب المصحف تحت إشرافه وبمعاونة قلة من المسلمين سمّاهم عثمان وحدهم. فلما أتموا كتابته على قراءة واحدة، أرسل النسخ إلى الأمصار، ثم جمع المصاحف الأخرى وحرقتها.

وهنا سألت ناهد وقد بدت عليها الدهشة:

- وهل قبل المسلمون هذا العمل بحرق المصاحف الأولى؟

فقلت: طبعًا لا، فقد اعترض كثيرُونَ وأخذوا على عثمان

أنه صنع ما لم يصنعه أبو بكر وعمر، ولكن ما فعله عثمان هو

فعلٌ طيبٌ، فقد جمع الناس على قراءة واحدة وكان حكيماً في

ذلك، ولقد سأل بعض المسلمين سيدنا علياً رضى الله عنه رأيه

في إحراق المصاحف فقال: «لو لم يصنعه لصنعتُهُ»، وقال

للمعتريين: «لو وُلِّيتُ مثلَ ما وُلِّيَ لفعلتُ مثلَ ما فعلَ».

وأثار أحمد موضوعاً هاماً فسأل: نحن نعرف أن رقعة

البلاد الإسلامية اتسعت في عهد سيدنا عمر، وأن الإمبراطورية

الإسلامية امتدت من أقصى بلاد فارس شرقاً إلى حدود برقة

وطرابلس غرباً، ومن بحر قزوين في الشمال إلى بلاد النوبة

في الجنوب، فهل كانت هناك فتوحات أخرى في عهد

عثمان؟

فقلت: مع بداية عهد سيدنا عثمان، ثارت بلاد أرمينيا

وأذربيجان، وسأدهم الفرس والروم، فأرسل عثمان الجيوش

فقضت عليهم جميعاً، وحاول الروم بعد خروجهم من مصر

أن يعودوا إليها من جديد، فأعد الإمبراطور «فنسانز الثاني»

أُسْطُولاً مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَفِينَةٍ تَوَلَّى قِيَادَتَهُ «مَانُوِيل»، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى مِصْرَ فَنَزَلَ الْأُسْطُولُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ بَعْدَ عَامٍ مِنْ بَيْعَةِ عَثْمَانَ، ثُمَّ سَارَ جَيْشُهُمْ فِي أَرْجَاءِ مِصْرَ السُّفْلَى يَنْهَبُ الْبِلَادَ، وَخَاصَّةً الْقَمْحَ وَالتَّمْرَ وَالْأَمْوَالَ، وَقَدْ وَاجَهُهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَزَمَهُمْ وَرَدَّهُمْ وَتَابَعَهُمْ فَتَضَعَعَ عِزُّمُ الرُّومِ، وَوَهِنَتْ قُوَّتُهُمْ، وَانْهَزَمُوا وَاتَّجَّهُوا إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَتَعَقَّبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى قَضَوْا عَلَيْهِمْ وَفَرَّوْا بِالسُّفُنِ، وَهَرَبُوا فِي الْبَحْرِ. وَفِي عَهْدِهِ أَيْضًا تَمَّ خُضُوعُ الشَّمَالِ الْإِفْرِيقِيِّ كُلِّهِ بِسُهُولَةٍ، وَجِبَالَةَ وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِيهَا بِقِيَادَةِ الْقَائِدِ الْعَرَبِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ. وَلَقَدْ تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ إِفْرِيقِيَا لِأَهْلِهَا بَعْدَ أَنْ صَالَحُوهُمْ عَلَى الْجِزْيَةِ.

وَقَالَتْ نَاهِدُ: إِنِّي أَلْحَظُّ يَا أَبَتِ أَنْ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بَعْدَ هَذِهِ الْفَتْوحِ قَدْ أَصْبَحَتْ تَطَلُّ عَلَى شَوَاطِئِ طَوِيلَةٍ، وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْ كِتَابِ التَّارِيخِ الَّذِي قَرَأْتُهُ أَحْيَرًا أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَرْفُضُ التَّعَامُلَ مَعَ الْبَحْرِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَخْشَوْنَ الْبِحَارَ. فَمَا هُوَ الْمَوْقِفُ الْآنَ لَوْ تَعَرَّضَ الْمُسْلِمُونَ لِهَجُومِ بَحْرِيٍّ وَخَاصَّةً أَنَّ الرُّومَ كَانُوا رَجَالَ بَحْرِ مَهْرَةٍ!؟

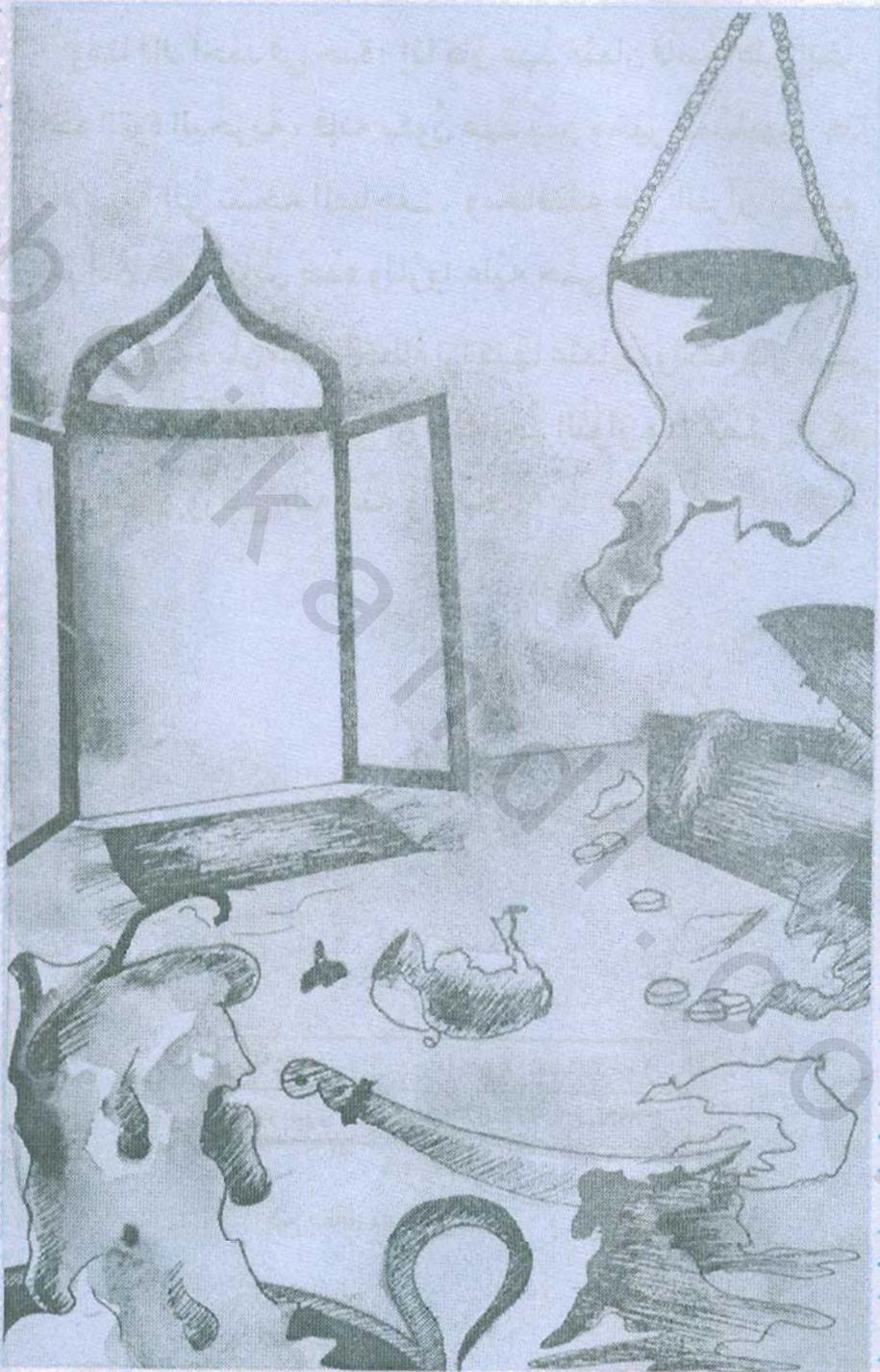


فأعجبني سؤالها الذي أكد أنها تتابع الحديث والأحداث  
بتركيز وفهم وقلت لها:

إنك تثيرين موضوعاً هاماً، فإن سيدنا عمر كان يرفض فعلاً  
ركوب البحر، وكان يخشاه على المسلمين. وعندما تولى عثمان  
الخلافة رفض أن يخالف سيرة عمر، ورفض أن يسمح لمعاوية  
في غزو جزيرة قبرص من البحر، ولكن أمام إصرار معاوية  
وافق بشرط أن يترك ذلك للناس اختياراً فمن شاء شارك  
ومن أبى لا يجبر وقال له: خيرهم فمن اختار الغزو طائعاً  
فأحملة وأعنه.

وهكذا جعل عثمان ركوب البحر والغزو فيه تطوعاً لمن  
يشاء. وفتح المسلمون قبرص، وبنى الأسطول الإسلامي في  
الشام ومصر في زمن وجيز، وأصبحت الدولة الإسلامية دولة  
بحرية مرهوبة الجانب، وأصبح الأسطول المصري قوة وأداة  
لفتح البلاد.

ولمع اسم عبد الله بن قيس كأعظم قادة البحر، فقد غزا  
خمسين غزوة بحرية ومكر به أعداؤه فقتلوه دون قتال. ولعل  
أعظم معارك المسلمين البحرية هي معركة ذات «الصواري»  
التي انتصر فيها عبد الله بن سعد على الروم بقيادة «قسطنطين  
بن هرقل».



وهنا قال أحمد في حدة: إذا كان عهد عثمان قاصراً على إنشاء هذه القوة البحرية، فإنه يكون عهداً يمين وخيراً للمسلمين. هذا بالإضافة إلى نسخته المصاحف، ومحافظة على القرآن الكريم. فلم إذن هاج الناس ضده وثاروا عليه حتى قتلوه؟ ذلك لظنهم بأن هناك أخطاء ارتكبتها عثمان، ولكنه كان حسن الظن فيها. وأدى ذلك إلى أن قتل أحد الثوار وهو يوصى. رحم الله عثمان ورضى الله عنه وأرضاه.

٢٠٠٣/١٤٣١٥

رقم الإيداع

ISBN 977-02-6488-1

الترقيم الدولي

٧/٢٠٠٣/٢٦

طبع بمطابع دار المعارف ( ج . م . ع . )

# الصحابة

يسعد دار المعارف أن تقدم للشباب والناشئة ، هذه المجموعة الشائقة عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذين قال عنهم : « أصحابي كالنجوم .. بأيهم اقتديتم .. اهتديتم » .  
مجموعة تحث الشباب والناشئة على القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة والقدوة الحسنة .

## صدر منها :

- ١- أبو عبيدة بن الجراح .
- ٢- أبو حذيفة بن عتبة .
- ٣- الزبير بن العوام .
- ٤- زيد بن حارثة .
- ٥- عبد الله بن رواحة .
- ٦- عبد الله بن مسعود .
- ٧- أبو ذر الغفاري .
- ٨- عثمان بن عفان .

